المسيحية والغيبيات

مقدمة

من وحى محاضرة لقداسة البابا عن :

المسيحية والغيبيات

ألقى قداسة البابا شنوده الثالث محاضرة هامة بالـــ Video conference ، مـــن مركـــز المعلومات والتكنولوجيا بالبطريركية بالقاهرة ، إلـــى الآبـــاء الكهنـــة والخـــدام والخادمـــات المجتمعين فى دير الملاك بنقادة ، فى مؤتمر " تثبيت الإيمان " ، يوم الإثنين ، الثلاثاء الموافق ٣-٤ نوفمبر ٢٠٠٣ . وأجاب قداسته على الأسئلة الهامة التى طرحهـــا المجتمعـــون علـــى قداسته.

وقد أذيعت المحاضرة على الإنترنت ، وحضرها حوالى ١٦,٠٠٠ ستة عشر ألفاً من الداخلين إلى الموقع.

وهى محاضرة فى غاية الأهمية ، إذ تطرح موضوعاً شعبياً يؤثر فى حياة الكثيرين ، شارحاً لهم عدم اللجوء إلى الغيبيات ، وخطورة هذا المسلك .

+ فما هى " الغيبيات " ؟

+ وما موقفنا منها ؟

الرب يبارك فى هذه الكلمات لكى تكون سبب بركة

للجميع بصلوات صاحب القداسة

البابا شنودة الثالث

ذهبى الفم ومعلم الأجيال

ونعمة الرب فلتشملنا

الأنبا موسى

أسقف الشباب

أولاً: ماهى الغيبيات ؟

تحدث قداسة البابا عن مجموعة كبيرة من الغيبيات ، كان يلجأ لها البشر فى العهد القديم ، وحتى إلى اليوم ، منها مايلى :

١- السحر

بكل أنواعه ، ومنه " الرقية " التى يحاول فيها الساحر أن يرقى أحداً ، أى يخضعه لإيحاءاته وتوجيهاته الشريرة ، والأعمال .. التى يعملها بعض السحرة لأناس بناءً على طلب أعدائهم ، لإيذائهم ، مستخدمين بعض الأسماء ومواد أخرى كالعظام أو الشعر أو الرماد ..

ولا شك أن هناك سحر حقيقى ، طالما وجد الشيطان ، وهذا ما نقرأ عنه فى العهدين : القديم والجديد. مما جعل الرب يوصى فى العهد القديم قائلاً : " لا تدع ساحرة تعيش " (خر٢٢: ١٨) .. " لا تلتفتوا إلى الجان ، ولا تطلبوا التوابع " (لا١٩: ٣١). وقد حرم العهد الجديد السحر ، حين تحدث عن سيمون الذى كان " يستعمل السحر ، ويدهش شعب السامرة ، قائلاً : أنه شئ عظيم. وكان الجميع يتبعونه من الصغير إلى الكبير ، قائلين : هذا هو قوة الله العظيمة. وكانوا يتبعونه لكونهم قد اندهشوا زماناً طويلاً بسحره " ، وهو الذى لما رأى أنه بوضع " أيدى الرسل يعطى الروح القدس ، قدم لهم دراهم قائلاً : اعطيانى أنا ايضاً هذا السلطان ، حتى أى من وضعت عليه يدىّ ، يقبل الروح القدس. فقال له بطرس : لتكن فضتك معك للهلاك ، لأنك ظننت أن تقتنى موهبة الله بدراهم. ليس لك نصيب ولا قرعة فى هذا الأمر ، لأن قلبك ليس مستقيماً أمام الله. فتب من شرك هذا وأطلب إلى الله عسى أن يغفر لك فكر قلبك ، لأنى أراك فى مرارة المر ، ورباط الظلم " (أع٨: ١٤-٢٤).

ومع بولس الرسول قابلنا نفس الأمر ، حين قاومه " عليم الساحر " ، طالباً أن يفسد الوالى سرجيوس بولس عن الإيمان ، فامتلأ بولس من الروح القدس وقال له : "أيها الممتلئ كل غش وكل خبث ، يا ابن إبليس ، يا عدو كل بر ، ألا تزال تفسد سبل الله المستقيمة " (أع١٣: ١٠) .. تكون أعمى ولا تبصر الشمس إلى حين .. ففى الحال سقط عليه ضباب وظلمة ، فجعل يدور ملتمساً من يقوده بيده " (أع ١٣: ٩-١٢).

ثم نسمع عن " اليهود الطوافين المعزِّمين " الذين حاولوا استخدام اسم المسيح لإخراج الشياطين ، دون أن يؤمنوا به ، ومن بينهم أبناء سكاوى رئيس الكهنة ، وكيف أن الروح الشرير وثب عليهم ، وغلبهم ، وقوى عليهم ، حتى هربوا من ذلك البيت عراة ومجروحين (أع١٩: ١٣-١٧). مما دعى كثيرين من الذين يستعملون السحر ، يجمعون الكتب ويحرقونها

أمام الجميع. " وحسبوا أثمانها فوجدوها خمسين أيضاً من الفضة. وهكذا كانت كلمـــة الـــرب تنمو وتقوى بشدة " (أع ١٩: ١٩، ٢٠).

لذلك فلا يليق بالمسيحيين أن يلجأوا إلى الشيطان ليحل لهم مشاكلهم ، فهو " الكـــذاب وأبـــو الكذاب " (يو٨: ٤٤) ، ويستحيل أن يعمل خيراً للإنسان. وهو يحاول أن يفرق الإنسان فـــى دوامة تحت سيطرته ، فيعمل بعض الشياطين الشرّ فى إنسان ، لتبطله مجموعة أخرى مـــن الشياطين. ويتكرر الأمر على الدوام ، إلى أن ينتهى ذلك الإنسان ومن دفعوه إلى ذلك ، إلـــى هلاك خطير ، ما لم يتوبوا عن شرهم هذا.

٢- أدعياء السحر

وهؤلاء ليس لهم خبرة بالشيطان ، ولا قدرة على التعامل معه ، مما يجعلهم يمارسون نوعـــاً من " الدجل " أو " الشعوذة " ، يدّعون فيها القدرة على إتيان الخوارق وإخراق الشياطين ، فإن فشلوا في ذلك قالوا : هناك المزيد من الأعمال التى يجب أن تفك ، ومن الشياطين التى يجب أن تطرد ، وذلك ليحفظوا تابعيهم المخدوعين تحت سيطرتهم ، ويبتزون منهم الأموال.

وكما أن السحر الحقيقى مرفوض فى المسيحية ، كذلك أدعياء السحر يجب أن لا نتعامل معهم ، فهم أيضاً أتباع إبليس ، يريدون إدخال الناس فى دوامة شيطانية ، ويخرجونهم من دائـــرة النعمة والعمل الإلهى المقدس.

وما أكثر الدجالين فى هذه الأيام ، نقرأ عنهم كل يوم فى الصحف اليومية ، ويـــتم إكتـــشافهم والتعامل معهم عن طريق الشرطة والقانون.

٣- العرافة وطلب الجان

وهى تابعة السحر وأدعيائه ، يحاول من خلالها البعض سؤال من به " روح عرافة " لـــيعلم أموراً تخص حياتهم ومستقبلهم. وهو أمر خاطئ تماماً ، إذ لا يصح أن نطلب المعرفة مـــن غير الله. أليست هذه هى الخطيئة الأولى التى سقط فيها أبوانا الأولان ؟! حين قالـــت الحيـــة (إبليس) لحواء : " لن تموتا (حين تأكلان من شجرة معرفة والشر) ، بل الله عالم أنـــه يـــوم تأكلان منها تنفتح أعينكما ، وتكونان كالله ، عارفين الخير والـــشر " تـــك ٣: ٤، ٥). لهـــذا أوصى الرب فى العهد القديم قائلاً : " لا يوجد فيك .. من يعرف عرافة .. لأن من يفعل ذلك مكروه عند الرب " (تث١٨: ١٠، ١٢). وقد أعتبرها الكتاب المقدس خطية خطيرة ، حين قال صموئيل لشاول الملك : " التمرد كخطية العرافة ، والعناء كالوثن والتـــرافيم " (١صـــم١٥: ٢٣).

وحين كانت تلك " الجارية التى بها روح عرافة " تصرخ وراء بولس الرسول قائلة : " هؤلاء الناس هم عبيد الله العلى ، الذين ينادون لكم بطريق الخلاص " ، وفعلت ذلك أيامـــاً كثيـــرة ،

ألتفت بولس إلى الروح قائلاً : " أنا آمرك باسم يسوع المسيح أن تخرج منها ، فخرج فى تلك الساعة " (أع ١٦: ١٦-١٨). ومع أن هذه الجارية كانت تقول الحقيقة ، إلا أن الرسول بولس رفض أن يقبل من هذا الروح النجس كلماته ، واثقاً أنه " الكذاب " وأنه بعد قليل سيقول غير ذلك. وهذا ما فعله رب المجد ، حينما كانت الشياطين تقول عنه : " مالنا ولك يا يسوع ابن الله ، أجئت إلى هنا قبل الوقت لتعذبنا " (مت٨: ٢٩) رفض شهادتهم ، وطردهم من بني البشر.

إن إلهنا يسوع هو " المذخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم " (كو٢: ٣) ، ومنه وحده نطلب البناءة ، وخارجاً عنه ليس سوى الضلال والهلاك.

٤- الإجازة فى النار

وكانت تمارس فى العهد القديم لنوال أمور خاصة ، حين يعبر البنون فوق نار مشتعلة ، إرضاءً لعدو الخير ، الذى سهامه " ملتهبة ناراً " (مز٧: ١٣). وهى ممارسة تشبه مرور السيدة العاقر فوق طف وليد عدة مرات ، لكى تحصل على نسل. وينسى هؤلاء وأولئك أن العطايا هى من الله وحده ، الذى يمكن أن يستخدم العلم والطب وليس الشيطان والدجل.

٥- استشارة الموتى

وهذه كانت تمارس فى العهد القديم ، وقد نهانا عنها الله قائلاً : " لا يوجد فيك من يجيز ابنه أو ابنته فى النار ، ولا من يعرف عرافة ، ولا عائف ، ولا متفائل ، ولا ساحر ، ولا من يرقى رقية ، ولا من يسأل جانا أو تابعة ، ولا من يستشير الموتى. لأن كل من يفعل ذلك مكروه عند الرب " (تث١٨: ١٠-١٢).

ولا شك أن اغلب ممارسات " تحضير الأرواح " لها طابع شيطاني ، أي أن أغلب من " يحضرونه " يكون أرواحاً شريرة شيطانية تدعى أنها لبشر فمن ذا الذي يملك سلطاناً أن يستدعي روحاً بارة أو حتى شريرة ؟

أما ما حدث مع شاول الملك ، حين إنحرف ورفض الرب ، فرفضه الرب من الملك ، ولما وجد أن الله فارقه ، ولا يكلمه لا بالأحلام ولا بالأوريم ولا بالأنبياء (١صم ٢٨: ٦) ، لجأ إلى إمرأة صاحبة جان في عين دور ، بعد أن أخفى نفسه عنها ، حيث كان قد نفى أصحاب الجان والتوابع من الأرض. ولما بدأت المرأة تطلب صموئيل ، ظهر لها صموئيل بسماح من الله فيما رأى ، وليس بفعل هذه المرأة ، ليوجه الرسالة الحاسمة والضربة النهائية لشاول ، إذ قال صموئيل : " لماذا أقلقتني بإصعادك إياي .. لماذا تسألني والرب قد فارقك وصار عدوك .. وشق المملكة وأعطاها لقريبك داود ، لأنك لم تسمع صوت الرب .. يدفع الرب إسرائيل أيضاً معك ليد الفلسطينيين ، وغداً أنت وبنوك تكونون معي .. " (١صم٢٨: ١٥- ٢٠).

لذلك يجب أن لا نأخذ هذه القصة داعياً لإستشارة الموتى ، فليس هناك شيطان يستطيع إحضار أرواحهم ، ولا فائدة حتى من حضورهم واستشارتهم ، فالمعرفة الحقيقية ينبغي أن تؤخذ من الله ، أو من رجال الله الذين يبشرون باسمه القدوس.

٦- التفاؤل والتشاؤم

وهما أمران شائعان إلى اليوم ، حينما يرى إنسان شيئاً أو شخصاً ما ، فيتفاءل متصوراً أن أحداث اليوم ستكون سعيدة ، أو يتشاءم ظناً منه أن هذا اليوم سيكون مشئوماً. وهى أمور بعيدة عن الإيمان والمنطق على حد سواء ، ولا يليق بأولاد الله أن يقتنعوا أو يمارسوا هذين الأمرين. فكل شئ بإرادة إلهنا ، صانع الخيرات ، وظابط الكل ، الذى يجعل " كل الأشياء تعمل معاً للخير ، للذين يحبونه " (رو٨:٢٨). وهكذا يتقبل الإنسان واقعه اليومى ، وأحداث حياته ، واثقاً أن الله " من الآكل خرج أكل ، ومن الجافى خرجت حلاوة " (قض١٤:١٤).

ويحول الشر إلى خير ، كما قال يوسف لأخوته : " أنتم قصدتم لى شراً ، أما الله فقصد به خيراً " (تك٥٠:٢٠).

كما قال لأخوته : " لإستبقاء حياة أرسلنى الله قدامكم .. ليس أنتم أرسلتمونى إلى هنا بل الله " (تك٤٥ : ٥، ٨). وقد قال رب المجد لمعلمنا بطرس : " لست تعلم أنت الآن ما أنا أصنع ، ولكنك ستفهم فيما بعد " (يو١٣:٧). لذلك فتسليم الحياة لله ، أفضل من التفاؤل والتشاؤم ، كما قال الرسول بولس : " سلمنا فصرنا نحمل " (أع٢٧:١٥) .. وكما أوصانا الكتاب : " سلم للرب طريقك ، وإتكل عليه وهو يجرى " (مز٣٧:٥) .

٧- التنجيم والأبراج

وهذه أيضاً أمور لا يجب أن نثق بها أو نجرى وراءها ، مع أن بعض ممارسيها يعتبرونها علماً (كما اعتبروا تحضير الأرواح علماً أيضاً). فلا معنى لأن يتشابه مواليد شهر ما فى ملامحهم وصفاتهم وطبائعهم ، فينقسم بنو البشر إلى ١٢ مجموعة ، ليس إلا !!

أما النجم الذى ظهر للمجوس فلم يكن نجماً حقيقياً (كما قال ذهبى الفم) ، بل كان قوة إلهية أضاءت لهم الطريق ، حيث أنه كان يسير ويتوقف ، كما كان يسير عكس اتجاه النجوم ، كما كان منخفضاً جداً بحيث يشير إلى بيت محدد " ووقف فوق حيث كان الصبى " (مت٢: ٩).

لذلك فقراءة " حظك اليوم " هى لمجرد التسلية ، ومن يضعون هذه التوقعات ، لديهم مجموعة محددة يجرون عليها التباديل من يوم إلى يوم. ويجب أن نعتد بما يقولون ، أو نسلك بحسب ما يذكرون ، ففى هذا اجحاف بالرب ، مصدر معرفتنا ، ورئيس حياتنا وخلاصنا.

يقول التاريخ عن بعض الرؤساء الأجانب ، أنهم كانوا يمارسون التنجيم قبل أن يتخذوا قراراتهم. وبالفعل كان بعضهم يتخذون القرارات الخاطئة المدمرة لهم ولشعوبهم.

٨- الفنجان والرمل والودع والتعزيم

وكلها أمور عامة مرسلة ، ليس لها مرجعية حقيقية ، إلا إذا كان هناك سحر حقيقى ، وفعل شياطين ، الأمر الذى يستحيل أن نقبله. أما أن يخضع الإنسان لمثل هذه النبوات الزائفة المستقبلية ، فهذا خطأ وخطر ، قد يعرض حياته لهزات نفسية وروحية كبيرة. لذلك لا يليق بالمسيحيين ، حتى من باب التسلية ، اللجوء إلى هذه الأمور المعثرة للآخرين. وهى للأسف مازالت شائعة فى مجتمعاتنا ، حتى الراقية والمتحضرة منها.

٩- قراءة الكف

وهى نوع من الدجل الذى يجب أن نهرب منه ونرفضه ، فهذه الخطوط هى مجرد أمور خلقية أثناء تكوين الجنين فى البطن ، وليس لها أى مدلول يخص الحياة أو المستقبل.

وكثيراً ما خضع بعض الشباب لذا الدجل ، فأخبرهم قارئ الكف بأن خط الحياة لديهم مقطوع ، ولن يعيشوا بعد سن الثلاثين ، مما أربك حياتهم ، وعاقهم عن السعادة ، ومنعهم من الزواج خشية الترمل واليتم.

وهذا كله ضد مشيئة الله ، ومشورة الله ، والتسليم المطلوب للحياة ، ليقودها الرب بمحبته وحكمته ، صانعاً الخير دائماً لنا وللجميع.

١٠- الأحلام

وهى تحث أثناء النوم ، كما أنها على أنواع :

أ- **أحلام من الله** : كتلك التى شاهدها يوسف الصديق أو يوسف النجار أو المجوس ..

ب- **أحلام من الشيطان** : وهى نتاج الشهوة و الخطيئة ، وتدفعنا إلى أمور آثمة ..

ج- **أحلام من العقل الباطن** : حيث الرغبات المكبوتة التى تظهر فى شكل أحلام .. أو حيث يأتى الحلم ليحرس النوم .. فحينما يرن جرس المنبه ، يحلم الإنسان بأنه في كنيسة ، ويستمع إلى ترانيم وألحان ، وإلى صوت جرس الكنيسة .. وحينما يعلو رنين المنبه ، يستيقظ الإنسان ليجد أن هذا الرنين هو امتداد لما كان فى الحلم .. إنها رغبة مكبوتة فى الإستمرار فى النوم ، تظهر فى شكل حلم يحرس النوم.

وعلى كل الأحوال ينبغى عدم طلب الأحلام أو السير وراءها ، ويكفى إخطار أب الإعتراف بها ، لأن عدو الخير ممكن أن يستغلها لضرر الإنسان.

١١- الرؤى الكاذبة

وهذه يتخيلها الشخص فى أثناء صحوه ، أو حينما يكون نصف نائم. وفيها يمكن للشيطان أن يخدع الإنسان ، ويقوده إلى التهلكة ، تماماً كما حدث مع راهب ناسك ، ضربه عدو الخير بالكبرياء ، وصوَّر له أن الأرض لا تستحق وطأة قدميه ، وأن الرب سيرسل له مركبة نارية

ليصعد كايليا وأخنوخ. ولما صعد الراهب إلى سور الدير العالى ، أظهر له عدو الخير مركبة نارية بها ملائكة (فالشيطان يمكن أن يظهر فى شكل ملاك نور) ، وطلب منه النزول إلى المركبة المزيفة ، فسقط من أعلى السور ، وتهشمت عظامه ، وعاش ثلاثة أيام بعد ذلك ، نرجو أن يكون قد تاب فيها. وبستان الرهبان ملئ بقصص الرؤى المزيفة هذه.

أما الرؤى الحقيقية فموجودة ، ولكنها تأتى لرجال الله ، الذين يستطيعون احتمالها ، دون أن يسقطوا فى الكبرياء أو الزيف. تماماً كما كان مع الأنبا باخوميوس أب الشركة ، الذى كان يرى رب المجد فى رؤاه ، ولما طلب منه أبناؤه قائلين : " قص لنا منظراً من المناظر التى تراها " ، قال لهم : " خاطئ مثلى لا يرى مناظر .. فإن بحثتم عن منظر فإذهبوا إلى إنسان متواضع ، لأن فيه يسكن المسيح ".

والشيطان لا يستطيع أن يتنبأ ، فهو لا يعرف أعماق الإنسان ولا مستقبله ، بل هو يستنتج أموراً معينة ، مثل أن يسمع الإنسان يتكلم عن أمر يخصه مع أحد ، ثم حينما يلجأ إلى عمل الشيطان يقول له هذا الأمر ، لأنه سمعه قبلاً. أو حينما يقول لإنسان : أن فلاناً سيصلك الساعة كذا .. فذلك لأنه رآه يركب القطار من أسوان مثلاً فى ساعة سابقة ، وتوقع وصوله إلى القاهرة فى الساعة المذكورة.

١٢- سكنى الأرواح الشريرة

وهذا أمر ممكن وموجود ، وهى أرواح شياطين ، وليست أرواح بشر ، فليس للشيطان سلطان على أرواح البشر الأشرار ، الذين فى الجحيم ، فلقد انتهت قبضته إلى الأبد.

وهناك موهبة حقيقية يعطيها الله لبعض الآباء الكهنة أو العلمانيين ، فى التعامل مع هذه الأرواح الشيطانية وطردها.

ويمكن لهذه الأرواح الشيطانية أن تلعب ببعض من يتصورون القدرة على طردها ، فتخرج وتعود لتدخل ثانية ، أو توزع نفسها على فرق ، تلعب بهذا الشخص ، وبمن يلجأون إلى مواهبه المزيفة.

ويجب أن نفرق بين سكنى الأرواح الشيطانية ، والأمراض العقلية والعصبية (كالصراع) ، أو النفسية (كالشيزوفرينيا).

ولا يصح أن يتعامل صاحب الموهبة المزيفة بعنف مع أى من هؤلاء المرضى ، تاركاً ذلك لأصحاب الموهبة الحقيقية فى إخراج الشياطين ، أو للأطباء النفسيين لعلاج من لديهم أمراض نفسية ، أو عقلية ، أو عصبية.

١٣- الأنبياء الكذبة

الذين يدعون النبوة زيفاً ، وقد حذرنا منهم الكتاب المقدس بعهديه. ولعلنا نذكر قصة ذلك النبى الكذاب الذى خدع آخاب الملك بأنه سيحارب وينتصر ، بينما أخبره ميخا النبى الحقيقى بأنه سينهزم ويموت ، وصدق ميخا ، ونفذت نبوءته.

وهناك فى العهد الجديد موهبة " التنبؤ" وهى على نوعين :

أ- **الإنباء بالمستقبل** : كما حدث مع بولس الرسول ، حينما أنبأه أغابوس أنه سيربط ويضطهد فى أورشليم (أع٢١: ١٠، ١١) أو بنات فيلبس المبشر (أع٢١: ٨، ٩).

ب- **الوعظ الممسوح بالروح القدس** : كعظة بطرس الرسول يوم الخمسين ، التى اقتادت ثلاثة آلاف نفس إلى الإيمان بالمسيح. أما أدعياء النبوة ، فلنحذر منهم ، ولا نسير وراء ضلالاتهم المهلكة.

١٤- المسحاء الكذبة

سواء من ظهروا فى القديم ، قبل مجئ المسيح رب المجد بالجسد ، مثل توداس ويهوذا الجليلى (أع٥: ٣٦- ٣٨) ، اللذين أزاغا وراءهما الكثيرون ، ولكنهم انتهيا وهلكا. أو فى العهد الجديد ، مثل " ضد المسيح " (Anti Christ) الذى سيدعى أنه المسيح الحقيقى ، " وهو إنسان الخطية ، ابن الهلاك ، المقاوم ، والمرتفع على كل ما يدعى إلهاً أو معبوداً ، حتى أنه يجلس فى هيكل الله كإله ، مظهراً نفسه أنه إله .. الأثيم الذى الرب يبيده بنفخة فمه ، ويبطله بظهور مجيئه ، الذى مجيئه بعمل الشيطان بكل قوة ، وبآيات وعجائب كاذبة ، وبكل خديعة الإثم فى الهالكين .. " (٢تس٢: ٣-١٠).

لهذا ينبغى أن نأخذ حذرنا ، ونتمسك بمسيحنا الحقيقى ، وها حولنا الأدفنتست يبشرون بمسيح مزيف ، يقولون إنه الملاك ميخائيل ، ويقدمون لنا مسيحاً محدوداً (فالملاك محدود) ، لا يصلح للفداء ، لأن الفادى لابد أن يكون إنساناً يموت عنا ، وفى نفس الوقت خالقاً ، غير محدود ، وبلا خطية ، قادر على تجديدنا وإعادة خلقتنا .. وهذا ما تحقق لنا فى رب المجد يسوع الإله الكلمة المتجسد.

١٥- عودة التجسد

أو ما يسمى Reincarnation ، وهو ما يؤمن به بعض الهندوس ، إذ يتصورون أن الروح حينما تخرج من إنسان ، تحلّ فى جسد إنسان آخر ثم آخر. لتعمل ما كانت تتمناه ، إلى أن ترتقى إلى " الذقانا " حيث الاتحاد بالملأ الأعلى. وهى عقيدة خاطئة وخطيرة ، فكل مولود امرأة تكون له روحه مع جسده منذ اللحظة الأولى. أما أن تحل الروح فى عدة أجساد فقط ،

وروح متنقلة ؟ وكيف يحاسب الإنسان عن أفعاله ، مادامت روحه كانت فـــى آخـــر وآخـــر وآخر؟!

١٦- الأحجبة

والمقصود بها أنها " تحجب " الشر عن الإنسان ، إذا ما وضعها داخل ثيابه. وهـــو أســـلوب خاطئ يلتمس الحفظ من الشيطان وليس من الله. إذ تضم هذه " الأحجبة " بعـــض الكلمـــات ، وربما المزامير ، مع كلمات ومربعات غير مفهومة مثـــل " حجـــاب الـــسبعة ملائكـــة " أو " العذراء حالة الحديد " فيضعها الإنسان فى ثيابه لتحفظه مـــن شـــرور معينـــه . والعـــذراء والملائكة أبرياء من هذا الإسلوب ، فهم قادرون على حفظها بقوتهم الروحية ، وبعمـــل الله ، أما هذه الأحجبة فهى مع عمل عدو الخير وينبغى حرقها والتخلص منها.

١٧ – الرسائل التى للنسخ

إذ يرسل البعض ما يسمونه " رسالة من مارجرجس " ، لينسخها الإنسان ١٣ مرة ، ويرسلها لأصدقائه ومحبيه. فإذا فعل كسب اليانصيب ، وإذا لم يفعل تعرض لشر عظيم. وهى أمـــور خرافية لا قيمة لها ، ينبغى تمزيقها والتخلص منها ، وعدم اللجوء إليها أو الخوف من عواقب إهمالها.

١٨- تغيب العقل

حينما يلغى شاب ما عقله ، ويذهب إلى " شخص مبروك " ويسأله مثلاً : هل أعيـــد الثانويـــة العامة أم لا ؟ .. هل أتزوج هذه الفتاه أم لا ؟ .. ويعتبر هذا صوتاً إلهياً ، متجاهلاً أن الـــرب أعطانا وزنة هامة هى العقل ، يجب إعماله والتفكير به ، ودراسة الأمر جيداً طالباً مـــشورة الآخرين ، ومصلياً للرب أن يقوده فى القرار والاختيار ، وعارضاً أموره على أبيه الروحى ، لينال الإرشاد السليم.

وهذا أمر أصبح شائعاً فى زماننا ، وهو غير مقبول مسيحياً ، فالرب أعطانا وزنة العقل مـــع ضبط الإرشاد الروحى ، الذى يعمل فيه روح الله القدوس. ولهذا لا ننصح من يختار شـــريك حياته أن يلجأ إلى القرعة ، حيث تكون هناك فعلاً فروق تميز بين شخص وآخر ، يـــدركها العقل ، ويضبطها الإرشاد الروحى.

١٩- طلب الخوارق

إذ يجرى البعض وراء صورة يقولون إنها تنضح زيتاً ، أو تمثال يبكي ، أو ينزف دمـــاً ، أو شئ نشربه فنشفى .. وهذا كله إلغاء للعقل ، وإن كان لا يلغى إمكانية أن يسمح الله بمعجزات حقيقية فعلاً ، فوق العقل ، لتمجيد اسمه وقديسيه ، مثل ظهورات السيدة العذراء ، ومعجزاتها اليومية مع أولادها ، وكذلك عمل الملائكة والقديسين فى إنقاذنا ورعايتنا. المهـــم أن تكـــون

معجزات حقيقية وليست مدعاة ، وأن يكون ذلك من خلال لجنة فحص وتقصى حقائق معتمدة كنسياً.

وكثيراً ما يتدخل عدو الخير فى مثل هذه الخوارق المدعاة ويضل الناس فعلاً ، ويبعدهم عن الله ، حين ينزل الزيت بغزارة من يدى إنسان ، أو من صورة معينة ... إلخ.

لقد أوصانا الرسول : " امتحنوا كل شئ وتمسكوا بالحسن " (١تس٥: ٢١) .. لهذا يجب ألا نجرى وراء " الخوارق أو نطلبها بإلحاح ، تاركين الرب لكى يفعل مشيئته المقدسة فى حياتنا. ومثال ذلك من تصلى من أجل مريض محبوب ، متشفعة بالقديسين أن يجرون معجزة ، فإن لم يفعلوا ذلك قاطعت القديسين ، وسقطت فى حزن ويأس ، فريسة ليد الشيطان.

نحن نطلب تدخل الرب ، وحتى إجراء معجزة ، لكننا نترك له أن يتمم مشيئته ، فهى الأفضل لنا وللجميع. وهذا ما فعله داود النبى في مرض ابنه ، إذ صام وصلى وإنسحق أمام الله ، وعندما مات الطفل نزع عنه صومه وتذلله وقال " أنا ذاهب إليه ، وأما هو فلا يرجع إلىّ " (٢صم١٢: ٢٣). وهكذا عاش التسليم والسلام معاً.

ثانياً : كيف نتعامل معها ؟

هناك عدة مبادئ يجب أن نلتزم لها ، فى التعامل مع هذه الغيبيات ، منها :

١- لا نلجأ إلى الغيبيات بل إلى الله

لأن طلب المعرفة والمعونة من غير الله هو خطية كبيرة فالمصدر الجوهرى لهذه الغيبيات هو الشيطان ، فهو الذى يعمل فى السحر ، وتحضير الأرواح ، والعرافة ، واستشارة الموتى ، وغير ذلك. واللجوء إلى الشيطان فيه نوع من عدم الثقة فى الله ، وفى محبته ، وخيريته ، وقدرته. وهذا نوع من الإلحاد العملى ، حتى إذا قال من يمارسون ذلك أنهم يؤمنون بالله !

من هنا يجب أن يتوب أى إنسان سار فى هذا الطريق ، طريق " الأعمال والأحجبة " وغير ذلك. ولاشك أن التوبة بابها مفتوح للجميع ومغفرة الرب جاهزة لكل من يرجع إليه. وهو الذى قال : " من يقبل إلىّ ، لا أخرجه خارجاً " كما قال القديسون : " ليست خطية بلا مغفرة ، إلا التى بلا توبة ".

إن عدو الخير يتظاهر بصنع الخير عن طريق أجناده ، حينما يقومون بعمل هذه " الأعمال أو الأحجبة " ، فواحد من الشياطين يقوم بالإيذاء ، والآخر بمنح الشفاء ، فيعود الأول ليمارس دوره ، فيلجأ الإنسان إلى الشيطان الآخر ليريحه ، وهى – بلا شك – دوامة رهيبة ، تفرح قلب الشيطان الأثيم ، الذى يستحيل أن يريد الخير للبشر ، بل يشاء أن يسقطهم فى حبائله وحيله ودواماته ، فيبعدهم عن إلههم المحب ، وفاديهم القدوس. ولذلك يقول الرسول بولس :

أننا – كأولاد الله – " لا نجهل أفكاره " (٢كو٢: ١١). ويوصينا معلمنا يعقـوب : " قـاوموا ابليس فيهرب منكم " (يع٤: ٧) .

لقد سقط الشيطان بالصليب ، لذلك قال رب المجد : " رأيت الشيطان ساقطاً مثل البرق مـن السماء " (لو١٠: ١٨) ، وذلك حين رجع الرسل من خدمتهم قائلين للرب : " يـارب ، حتـى الشياطين تخضع لنا باسمك " (لو١٠: ١٧). وقد أعطى الرب تلاميـذه الـسلطان " ليدوسـوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو " قائلاً لهم : " لا يضركم شئ " (لو١٠: ١٩) . لهذا فلا يليق بالمسيحيين أن يلجأوا إلى الشيطان الساقط ، ولا أن يخافوا أن يضرهم ، فهـم فـى حـصن حصين .. " اسم الرب برج حصين ، يركض إليه الصديق ويتمنع " (أم١٨: ١٠). والإنـسان الذى يثبت فى الرب بالتناول والصلاة ووسائط النعمة ، لا يستطيع أن يؤذيه عـدو الخيـر. ولنتذكر هنا قصة القديسة يوستينا ، التى كانت الشياطين لا تقترب منها لأنها كانت تصلى.

٢- الإيمان لا يلغى العقل

يتصور البعض أن العقل يلغى الإيمان ، أو أن الإيمان يلغى العقل ، والحقيقة أن العقل وزنـة من الله ، فهو الذى وضع فينا هذه الروح العاقلة ، والإيمان أيضاً " عطية الله " (جا٣: ١٣) ، فهو الذى يشرق فى قلوبنا لمعرفة المسيح. ودور الإنسان هو أن يتعقل ليـؤمن ، وأن يـؤمن ليتعقل. بمعنى أنه حينما يفكر بعقله فى هذا الكون الفسيح ، ويرى يد المهندس الأعظم تنظمه بعد أن تخلقه ، وتحفظه بيد قديرة عالية ، يؤمن بالخالق الذى خلقه. وكـذلك حينمـا يـؤمن الإنسان بالله ، يستنير عقله ، فيفهم الكثير من الألفاظ مثل : من خلقنا ؟ من أعطانا الحيـاة ؟ من يقود هذا الكون الفسيح ؟ من سيقيمنا بعد الموت ؟ من سيمنحنا الخلود ؟ وكيف ذلك مـن خلال التجسد والفداء والخلاص ؟ .. الخ. لهذا يقول الرسول بولس : " الإيمان هو الثقة بمـا يرجى ، والإيقان بأمور لا ترى " (عب١١: ١) وقال أيضاً : " بالإيمان نفهـم أن العـالمين أتقنت بكلمة الله ، حتى لم يتكون ما يرى مما هو ظاهر " (عب١١: ٣) .

الإيمان فوق العقل ، وليس ضد العقل. والإيمان بالنسبة إلى العقل ، كالتلسكوب بالنسبة إلـى العين المجردة ، فالعين المجردة تبدأ ، ولكنها محدودة ، فيأتى ويكمل لها الطريق فتـرى مـا لايرى ، وتثق فى وجود الله الذى هو فوق العقل وفوق الحواس. وكما أن العين والتلسكوب لا يغنى أحدهما عن الآخر ، كذلك العقل والإيمان يتكاملان.

لذلك لا يليق بالمسيحى أن يلغى عقله ، أو أن يسمح لآخرين بأن يتحكموا فى عقله " غـسيل مخ " (Brain wash) أو ما يسمى علمياً " بالتحكم العقلى " (Mind Control) ، وهذا مـا نراه فى الجماعات المتطرفة ، حينما تسلم الجماعة عقلها للقائد ، فيدمرهم ويدمر بهم كثيرين.

ولا يليق بالمسيحى أن ينتظر من مرشده الروحى أن يعطيه القرار فى كل شئ بل عليه أن يفكر ويدرس ، وأن يصلى ويطلب مشورة الله ، وأخيراً يعطى فكره لمرشده عما يرى ، ومرشده يساعده فى اتخاذ القرار وضمان سلامته.
نقول هذا عن قرارات الحياة اليومية مثل دخول كلية معينة ، أو قبول عمل ما ، أو اختيار شريك الحياة .. الخ.

٣- النعمة لا تلغى الجهاد

فنحن نؤمن فى حياتنا الأرثوذكسية بدور فاعل لكل من الجهاد والنعمة. والإنسان لا يخلص بالنعمة فقط ، لكن بالجهاد أيضاً. ولا يخلص بالإيمان فقط ، لكن بالأعمال أيضاً. لأن الايمان بدون أعمال ميت " (يع٢: ٢٠). وهذا ما يسميه بعض الكتاب " السينرجية Synergism " أى " العمل المشترك " الله والإنسان.
وكلنا نذكر سؤال الرب للمفلوج : " أتريد أن تبرأ ؟! " (يو٥: ٦) .. وتوبيخ الرب لأورشليم : " كم مرة أردت .. ولم تريدوا " (لو١٣: ٣٤) وقول القديسين : " الله الذى خلقك بدونك ، لا يخلصك بدونك "

لهذا لا يليق بالمسيحى أن يتكل على قدرة الله متخلياً عن دوره. ودوره ينحصر فى :

١- أن يطلب معونة وإرشاد الله .. واثقاً فى قدرته اللانهائية وخلاصه الكامل.

٢- أن يسلم مشيئته لمشيئه الله الكاملة ، مظهراً نيته فى الحياة المقدسة.

٣- أن يقوم بما عليه من جهد .. ففى حالة المرض : يدعو الطبيب ويأخذ الدواء ، ويحتفظ مما يضر بصحته ..

وفى الجهاد ضد الخطية : يشبع روحياً بوسائط النعمة ، مثل الصلاة والتناول وقراءة الكتاب المقدس والصوم ، وحضور الاجتماعات الروحية ، وقراءة الكتب البناءة .. وكذلك يبتعد عن الأسباب التى تقوده إلى الخطية من خلال الحواس أو العلاقات الضارة.
ألم يكن رب المجد قادراً على رفع الحجر عن قبر ليعازر ؟ ولكنه يطلب منا عمل ما فى إمكاننا ، ويقوم هو بما يستحيل علينا ، كتغيير وتقديس طبيعتنا.
لهذا فالمسيحى الأمين لا يلجأ إلى الغيبيات ، ويمكث سلبياً فى انتظارها. بل عليه أن يجتهد ويكون أميناً فيما يقدر على فعله ، تاركاً للرب بقية الأمر. أما أن يهمل طالب فى المذاكرة ، ويتكل أن شخصاً ما سيصلى من أجله ، أو يفتح له الكتب على صفحات معينة .. فهذا غير مقبول. والرب الذى قال لنا : " بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً " (يو١٥: ٥). هو الذى أوحى للرسول بولس أن يقول " استطيع كل شئ فى المسيح الذى يقوينى " (فى٤: ١٣)

٤- المعجزات لا تلغى الأمور الطبيعية

فالله يستخدم المعجزة ، ولكنه لا يجعلها منهجاً للحياة الروحية واليومية ، ومع أنه قادر على الشفاء ، إلا أنه أوجد لنا الطب والأطباء. لهذا لا يليق بالمسيحى أن يطلب معجزة فى كل شئ من أموره اليومية : كالنجاح بدون مذاكرة ، أو الشفاء بدون عملية ودواء ، أو البناء والزرع والإثمار بدون مجهود بشرى.

بل أن الرب كثيراً ما يحجب عنا المعجزة ، فلا يسمح بشفاء مريض ، بل ربما يسمح بإنتقاله.

فهل نفقد إيماننا أن المعجزة لم تحدث ؟! المعجزة لها أهدافها ، فى دفع غير المؤمنين إلى الإيمان ، أو فى تشجيع روحى فى ظرف ما ، أو فى إظهار مجد الله أمام غير المؤمنين به (مثل معجزة نقل المقطم) .. ولكن هذا لا يعنى أن نحيا بالمعجزات ونتوقعها فى كل شئ أو موقف أو احتياج. فالله له مشيئة مقدسة ، يعرف متى يجرى المعجزة ، ومتى يترك الحياة تسير على طبيعتها. وعلى الإنسان أن يدرك أن الرب " صانع الخيرات " سواء إذا صنع معجزات معنا ، أو إذا سمح بتجربة ، أو مرض ، أو وفاة .. الخ.

ولنا فى أيوب الصديق مثال للتجارب التى تنقى الإنسان من البر الذاتى. وفى تجربة ذبح اسحق تزكية لأبينا إبراهيم أمام الله والناس. وفى مرض معلمنا بولس حمايته من الكبرياء " لئلا ارتفع بفرط الإعلانات ، أعطيت شوكة فى الجسد .. " (٢كو١١: ٧).

لهذا أوصانا الرسول : " احسبوه كل فرح يا أخوتى حينما تقعون فى تجارب متنوعة ، عالمين ان امتحان إيمانكم ينشئ صبرا ، وأما الصبر فليكن له عمل تام ، لكى تكونوا تامين وكاملين ، غير ناقصين فى شئ " (يع١: ٢-٤).

إن اللجوء إلى الغيبيات لتصنع معنا " معجزات " ، أمر خطير لعدة أسباب :

١- أنها ستكون " معجزات وهمية " من فعل عدو الخير ، الذى لا يصنع الخير معنا أبداً ، بل يقصد أن يخضعنا لتأثيراته الشريرة ، ويفرقنا فى دوامته المهلكة.

٢- أنها طريق للسقوط الدائم فى حبائل ابليس ، ليكون هو المسيطر علينا بدلاً من الله.

٣- أنها سرعان ما تنقلب إلى ايذاء الإنسان بعد أن يكون قد استسلم لعدو الخير ، وهو إيذاء روحى وفكرى ونفسى وبدنى ..

++++++++++++

فلنستمع - إذن - إلى نصيحة قداسة البابا شنودة الثالث لنا ، ولا نلجأ إلى هذه الأساليب المنحرفة ، بل إلى الله المحب ، العقلى الكلى ، ومعطى كل الخير والنعم.